الفصل الثالث عشر

﴿ كيف يخلق الانسان ﴾

لعلك تذكر أننا قبل أن نتكلم على مراكب الطعام تكلمنا على الدم، وقلنا إنه يحمل الغذاء الى جميع أطراف الجسم، من قمة الرأس إلى اخمص القدم.

وشبهنا الدم بعربة اللبن أو بعربة الجزار التى تمر على البيوت فتوزع اللبن أو اللحم على الزبائن. وقلنا أيضًا إن الدم لا بد أن يذهب إلى موضع معين يشحن فيه بمواد الغذاء التى عليه أن يوزعها.

ولقد عرفنا الآن أنى يتلقى الدم مواد الغذاء؛ إنه يتلقاها من مراكب الطعام فى الامعاء.

فالونشات الصغيرة تنقل مواد الغذاء من المراكب إلى القطر البخارية، أو إلى عربات اللبن أو اللحم وهذه كلها تكون فى انتظار الغذاء فى المرافىء، وبعد ذلك توزع العربات الغذاء على جميع أجزاء الجسم.

توزعه العربات أو القطر على المخ، وعلى العضلات، وعلى الأعصاب، وعلى الجلد، وعلى العظام؛ لأن هذه كلها أعضاء حية تأكل وتشرب كما تأكل الأولاد. هى فى الحقيقة كالبلاد الصغيرة يسكنها الناس؛ كل واحد منهم يأكل ويشرب.

لا بد أن نفهم ذلك لكى نفهم كيف تتركب أجسامنا . فمن السهل جداً أن تعرف أن للناس عيوناً وأذاناً ورءوساً وسوقاً الخ ولكن ليس يكفى أن تعرف ذلك فقط بل لا بد أن تعرف تركيب هذه الأعضاء .

ان هذه الأعضاء تتركب من خلايا . وان لم تعرف ما هى الخلية لم تستفد شيئاً بمعرفتك أن الأعضاء تتألف من الخلايا ؛ كقولك لمن لا يعرف القراميد مثلا إن البيت يبنى من القراميد

ولنبحث فى الخلية

كل واحد منا ، لا شك ، يعرف حجرة السجن فهى غرفة صغيرة بجدران متينة داخلها مسجون . فحجرة السجن هذه قريبة المشابهة بالخلية ؛ لانك اذا نظرت إلى قطعة صغيرة من منسوج من أنسجة الجسم بالمجهر رأيت جملة خلايا كحُجَر السجن ، فى كل خلية نقطة سوداء كالمسجون داخل الحجرة .

فالجسم مؤلف من هذه الخلايا الصغيرة ـ من ملايين الملايين منها ـ كما يتألف البيت من القراميد . و بعد ان عرف القوم ذلك أخذوا يبحثون عن منشأ هذه الخلايا وكيف يتكون الجسم منها .

تصور أمامك طفلاً ورجلاً كبيراً . أليس مثلهما كمثل كوخ وقصر . ثم ألست تعرف أن الطفل الصغير سيصير بعد سنين معدودة رجلا كبيراً .

وهل يمكن أن يتحول الكوخ الصغير إلى قصر كبير إلا اذا قوّيناه من جوانبه ورفعنـــاه مشيدين ذلك بما نجهزه من القراميد الجديدة بنفر من البناءين والعمال يشتغلون زمنا طويلاً . ولا تسل عما يحدثه هؤلآء العمال من الضوضاء والجلبة

أما الطفل الصغير فينمو و يصير رجلاً كبيراً بإذن الله بغير ما ضوضاء أو جلبة ، و بغير ان يجهز أى انسان القراميد الضرورية للجسم، وهى الخلايا ؛ ذلك لأن الخلايا تجهز لنفسها الخلايا الجديدة الضرورية وتقوم بالعمل هى نفسها . واليك التفصيل :

خلايا الجسم تتكاثر . لأن الخلية اذا نمت انقسمت قسمين يكون كل قسم منهما خلية صحيحة ، على غير ما هى الحال اذا قطعت تفاحة إلى قسمين أو كسرت قرميدا من الطوب إلى قسمين؛ فان كل قسم من التفاحة يكون نصفًا ، وكل قسم من القرميد يكون نصفًا . والسبب فى ذلك أن الخلية حية ، وأن انقسامها قسمين لا يميتها لأنه توالد . أنظر إلى الشكل الخامس والخمسين تجـد ما أريد أن أوضحه لك .

فاذا عرفت ان المئة خلية ينقسم كل منها قسمين ، فى ليلة ، فتصبح المئة مئتين ، كلها خلايا نشطة ، قوية ، نامية . واذا انقسم العدد الأخير تضاعف إلى اربعمائة خليـة وهكذا . فتتكاثر خلايا الطفل الصغير ، بهذا الشكل ، و يصبح رجلاً كبيراً .

وهذا هو الواقع، وهو أمر غريب جداً. فكل رجل، وكل امرأة، وكل صبي، وكل صبية، فكل أولئك من خليـة واحدة. وهذه الخلية صغيرة جداً؛ خلية أصغر من رأس الدبوس.

أنى تأتى هذه الخلية؟ تأتى هذه الخلية من خلية أخرى فى جسم الأم – أم الولد أو البنت.

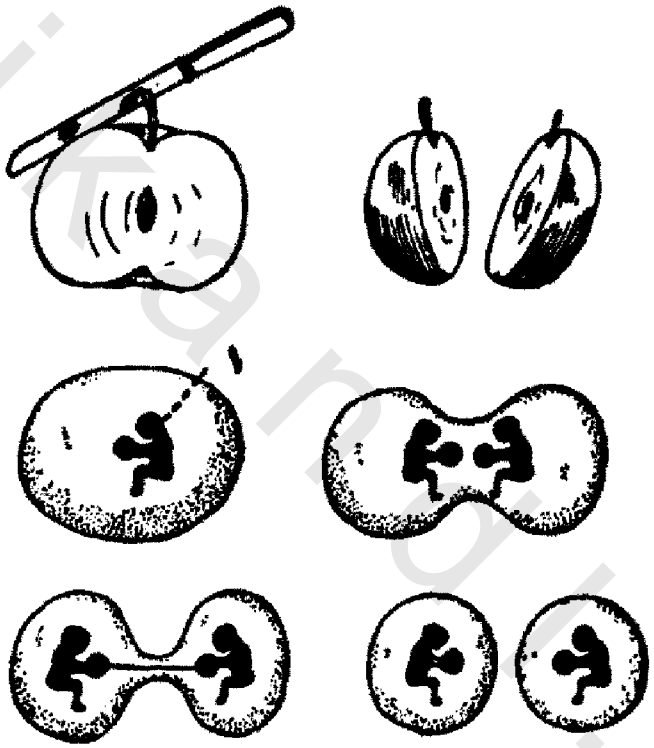

(شكل ٥٥) قطع التفاحة الى قسمين أو نصفين
وانقسام الخلية الى خليتين ١ — المسجون فى الخلية ، أو النواة

ولتعلم أن الخلية الأولى التى يتكون منها الجنين لا تكون كاملة فى أول الأمر. فهى وإن يكن لها جدار متين كجدار الحجرة وفيها نواة صغيرة داخلها كما يكون المسجون داخل حجرته، إلا انها ليست تستطيع أن تنقسم متكاثرة، أى أنها لا تستطيع أن تنمو.

وكيف تستطيع أن تنمو؟ إنها تنمو بتأثير الأب . فبغير الأب لا تستطيع الخلية التى فى الام أن تنمو . وبعبارة أخرى لا تكون المرأة أمًا بغير زوج .

إن الحب الذى يشعر به الرجل نحو زوجته هو الذى يجعل الزوجة أمًا ، هو الذى يجعل الخلية التى منها يتكون الجنين قادرة على النمو .

مما تقدم تعلم أن الأب والأم ضروريان لنمو الخلية التى منها يتكون الجنين . واذا بدأت النمو نمت بنفسها بعد ذلك . وتأخذ الخلية فى النمو ، ثم تنمو فى جسم الأم ، لأنها لا تستطيع ان تحصل على غذائها خارج جسمها . فالخلية تتغذى من دم الأم وتتكاثر بانقسامها ، الخلية إلى خليتين ، والخليتان إلى اربع ، والاربع إلى ثمان ، وهكذا ، وكل خلية لا شك ، تحتاج إلى غذاء ، وكل الخلايا واجدة الغذاء فى دم الأم .

فانظر الى الانسان كيف خلق ، خلق من خلية كانت أصغر من رأس الدبوس نمت فى بطن الام حتى صارت جنينًا . ثم ولد كاملاً برأس ، وبعينين ، وأذنين ، وصدر ، وبطن ، ويدين ، وقدمين . وهى قدرة الله سبحانه وتعالى التى تراها أيضًا فى البيضة التى ترقد عليها الفرخة فتفقسها فيخرج منها النِقف[1] بعينيه ، ومنقاره ، وجناحيه

(١) النقف هو الفرخ حين يخرج من البيضة

ولسائل أن يسأل كيف تصبح الخلية الصغيرة مخلوقاً بعينين، وأذنين، ويدين، ورجلين إلى غير ذلك؟ كيف تنمو الخلية فتصير طفلاً أو فرخاً؟ حقاً إنها أسئلة غريبة لم يستطع العلم أن يجيب عليها. إنها من اكبر الأدلة على قدرة الله سبحانه وتعالى. إن ادراكها فى عدم ادراكها.

بيد انا وإن كنا نجهل لِمَ تتحول الخلية الى طفل أو فرخ مثلاً، إلاّ أننا نعلم كيف يتم ذلك، وليس من السهل أن افهمك كيف يتم ذلك لكن أحاول تقريب المسألة اليك لتصل الى ذهنك.

لنحسب أن لرجل وزوجة عشرة أولاد. أحدهم طبيب، وثانيهم مدره (محام)، وثالثهم مدرس، ورابعهم ناظر مدرسة، وخامسهم مهندس، وسادسهم تاجر، وسابعهم صانع، وثامنهم بحار، وتاسعهم جندى، وعاشرهم مزارع. فكلهم رجال وكلهم رجال مختلفون. وكل واحد منهم له عمل خاص، وكل منهم له لباس خاص، وكل منهم يعيش عيشة خاصة. لكنهم كلهم فى أعمالهم متعاونون، يعاون أحدهم الآخر، وكل منهم يحتاج إلى أخيه. فان مرض أحدهم احتاج إلى الطبيب، وإن أراد أحدهم السفر احتاج الى البحار، وإن أراد أحدهم أن يبنى بيتاً احتاج الى المهندس، وهكذا.

وهذا هو ما يحدث لأولاد الخلية الأولى التى منها تتكوّن أجسامنا. فبعد أن تنقسم قسمين، وينقسم كل قسم قسمين وهكذا

متكاثرة تكاثراً عظيماً تأخذ الخلايا الجديدة فى اقسام العمل فتنصرف كل طائفة الى عمل كما ينصرف الأولاد كل فيما هو موفق اليه . فتكون طائفة من الخلايا المخ ، وطائفة أخرى العينين ، وطائفة أخرى العظم ، وطائفة أخرى اللحم ، وطائفة أخرى المعدة ، وطائفة أخرى الكبد ، وهكذا .

والغريب أن كل طائفة تعرف مكانها ولا تتعداه . فطائفة خلايا العين تكون فى الرأس فى موضعها ، وطائفة خلايا العظم تكون فى مواضعه من الجسم ، وطائفة خلايا اللحم تكسو العظم ، وطائفة خلايا الجلد تغطى الجسم كما يغطى البرسيم الأرض . فاذا وُلد الطفل رأيته طفلاً كاملاً .

وإذا رأيت الطفل لم تعد تفكر فى خلاياه كما إذا رأيت بيتاً لم تعد تفكر فيما بنى به من قراميد وحجارة . لكن ذكر البيت لا ينسينا عناصره من القراميد والحجارة ، وكذلك ذكر الطفل لا ينسينا عناصره من الخلايا .

فخلايا الطفل هى التى تكونه وإن كنا لا نراها . فخلاياه باقية ، نشطة ، تحتاج إلى غذاء لسد جوعها ، وإلى ماء لاطفاء ظمئها . وإذا لم يصلها ما تحتاج اليه من غذاء وماء ماتت

ولعلك رأيت إذا جرحت أصبعك أن الجرح يلتئم إذ يتكوّن فيه منسوج جديد تعلوه طبقة جديدة من الجلد .

ولا يحدث ذلك إلاّ اذا كانت الخلايا حية نشطة . فاذا جرحت الأصبع أخذت الخلايا التى حول الجرح فى التكاثر للأم الجرح ، ولا يقف التكاثر إلاّ اذا تم الالتئام .

وطريقــة الالتئام هذه قريبة المشابهة بما يفعله البناء فى ترميم الحائط المصدوع .

فيمكنك أن تحسب الجسم مدينــة كبيرة غاصة بملايين من الأجسام الصغيرة التى تحتاج إلى الغذاء كل يوم . وما الأوعية الدموية الاّ كعربات الخبازين أو عربات الجزارين التى تأتى بالخبز أو اللحم إلى كل بيت . فاذا لم تمر هذه العربات جاعت الخلايا ولم تستطع عملاً . واذا ماتت الخلايا مات الجسم كله .

والدم الذى يسير فى الأوعية الدموية هو كمحمول العربات من الخبز واللحم فيه الغذاء . ولعلك لم تنس أن هذا الغذاء يصل الى الدم من مراكب الطعام الراسية فى موانى الأمعاء أو لعلك لم تنس ، أيضًا ، أن القلب يدفع ، دائمًا أبداً ، الدم فى الأوعية ، وفى أثناء دورته فيها يوزع الطعام على جميع الأنسجة ، فتأخذ كل خلية من الخلايا نصيبها من الغذاء ، لأن الخلية حية كالصبى . وهى تشرب غذاءها كما يشرب الصبى المرق .

لكن الخلايا تحصل من الدم على شىء آخر عدا الغذاء هو الهواء فهى تتنفس كما يتنفس الصبى . وعلى ذلك يلزم أن نبحث كيف يحمل الدم الهواء للخلايا ؟